الرحمة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في الاستعمال القرآني

أ.م.د خميس عبدالله التميمي

جامعة بغداد ــ كلية الآداب

يعدُّ القرآن الكريم منبعاً صافياً ورافداً مهماً لم ينضب ، أنّه كتاب الله الذي لاتنتهي عجائبه ولا تنقضي غرائبه ، من ارتوى منه فقد ارتوى من المعين الصافي ، ومن ارتوى من ذلك المعين فلا يضل ولا يشقى ، فهو حبل الله المتين ، من قال به صدق ،ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم .

وإن الاشتغال بالقرآن العظيم من أعظم وأنفع ما يشتغل به طالب العلم ، فيتفهم معانيه ، ويتدبر آياته ، ويعمل بأحكامه ، والمتأمل في التعبير القرآني وفي طريقة استعماله للألفاظ ، يجد أن أبرز سمات الألفاظ في لغته تتجسد في الدقة والإيحاء ، فهو في ظاهره وباطنه مشحون بالدلالات المعجمية الحقيقية ، والسياقية الإضافية ، أي إن للألفاظ في القرآن الكريم معنىً معجمياً حقيقياً ، وآخر سياقي ثانوي يكشف عنه بعد طول تأمل وإشغال فكر ، وهذا ــ أي السياقي ــ له أهمية كبيرة في تفسير النص القرآني وفهمه فهماً صحيحاً دقيقاً ، بعد تحديد المقصود من بين معان عدّة قد يحتملها اللفظ ومما يزيد من أهميته أنّه يعمل على إيضاح المعنى المقصود ويبين مراميه كما يعمل على اتساع مفاهيم النص .

والرحمة من الألفاظ التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم ، وتنوعت دلالاتها بتنوع السياقات التي وردت فيها ، وما هذا البحث إلاّ محاولة للكشف عن دلالة هذه اللفظة ، لذا جاء موسوماً بـ(الرحمة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في الاستعمال القرآني) .

وورود هذه اللفظة بصور عدّة وأوزان وصيغ مختلفة كان سبباً في اختياري لدراستها ؛ لأن اختلاف الأوزان والصيغ وتعدد الصور يقوم على أساس تنوع الدلالة التي تؤدي الغرض الحقيقي في التعبير القرآني من حيث الإبلاغ والتأثير ؛ ذلك التعبير الذي يكون هو الأعلى والأسمى لما امتازت به اللغة العربية من إيضاح

في البيان ، ودقة في التعبير ، وبلوغ في الفصاحة والبلاغة ، وسعة في الألفاظ والمفردات .

وحرصاً منّا في دراسة هذه اللفظة والإحاطة بكل ما يتعلق بها اقتضت دراستها ، ومن ثمّ بيان دلالتها المعجمية ، وما تفرّع من هذا الجذر من اشتقاقات أدت إلى تعدد صورها واختلاف أوزانها ، للتعبير عن الدلالات التي يكون لها أثر كبير في الإيحاء والإبلاغ ، ومن ثم الحديث عن الدلالات السياقية للرحمة التي وردت في الاستعمال القرآني ، والتي أشار إليها غير واحد من القدماء والمحدثين، وكشف عنها البحث في أثناء الحديث عن الدلالات السياقية ، وهي الدلالات التي أخذت حيزاً واسعاً من بحثنا هذا لكثرتها وسعة المساحة التي شغلتها في التعبير القرآني ،وقد رتبت بحسب الحروف الهجائية في تسلسل دراستها .

الدلالة المعجمية:

وهي الدلالة الأصلية التي نستقيها من المعجمات المختلفة أو هي ((المعنى الذي تدل عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم))(١) ، وتسمى عند الأصوليين بالدلالة الوضعية، وتعني دلالة اللفظ على معنى بنفسه ، قال التهانوي: ((وهي عند أهل العربية والأصول كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم المعنى منه للعلم بالوضع))(٢)، وتسمى أيضاً بالدلالة المركزية(٣)، أو الدلالة الأساسية(٤)، أي هي دلالة الكلمة التي استعملت في المجتمع مفردة أو في التركيب سواء أكان المعنى حقيقياً في أصل الوضع ، أو مجازياً منقولاً من معنى حقيقي(٥).

وتقوم الدلالة المعجمية على التعدد ، إذ لاتعين على تحديد البعد الدلالي للكلمة فيها؛ لأنها تحتمل أكثر من معنى وهو في الغالب معنى منفرد يقوم على التجريد المنطقي(٦)، وهذا لايعني أن الدلالة المعجمية هي ((دلالة كلمة مفردة فقط بل يدخل فيها كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لاتتجزأ ، فالمعجم يبحث معنى الكلمة المفردة ، والتركيب الاصطلاحي ، والمثل ، والقوالب اللفظية التي تشكل وحدة معنوية))(٧)، وعلى هذا ((فالدلالة المعجمية تمثل وحدانية المعنى، وثبوت العلاقة بين الكلمة (الدال) والمسمى بها (المدلول) فكل لفظ يقابله معنى مركزي ، أو

مسمى ثابت في المحيط الخارجي ، فلكل كلمة مدلول موجود في حياتنا تشير إليه هذه الكلمة وتعيّنه، وبها تتم عملية التواصل اللغوي بين الناس في حدودها وإمكاناتها ، وأغراضها الدنيا، وقد قال بهذه الدلالة علماؤنا القدامى منذ بداية البحث اللغوي عندهم ، وبَنَوا أغلب معجماتهم في ضوئها ثم صارت هذه الدلالة نظرية خاصة من نظريات المعنى عند المحدثين أطلقوا عليها نظرية (مساواة معنى الكلمة بمدلولها)(٨)

فالصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذه اللغة في القاموس الخطابي ، باعتبار دلالته الأولى التي ((تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي))(٩)، والقرآن الكريم يمثل ذروة ما وصل إليه الخطاب اللغوي القديم من فصاحة اللغة وجودة التعبير والدلالة .

وقد أوضحت المعجمات العربية الدلالة المعجمية للجذر (رَحِمَ) وبينت معانيه على الرغم من اختلاف صيغه ، وأصحاب المعجمات رسموا الإطار المعجمي له وحددوا المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة أحد اشتقاقاته وهو لفظ (الرحمة) على الرقة والعطف والرأفة ، وهذا التصور لايختلف عن تصور المحدثين ونظرتهم إلى هذه الدلالة مما يعني أن لفظ الرحمة يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في أساليب الخطاب اللغوي القديم، على أن أصحاب المعجمات لم يغفلوا كثيراً من الدلالات والمعاني الإضافية لهذا اللفظ ، فقد أشاروا إليها ومثلوا لها .

وقد أجمع أصحاب المعجمات العربية على الدلالة المعجمية للرحمة إذ ذكر ابن فارس أن ((الراء والحاء والميم أصل واحد يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة))(١٠)، ويقال: رَحِمَهُ يَرْحَمَهُ رَحمَةً ومرحمة ً ورُحْماً وَرحماناً : رقَّ له ، وتعطّفَ عليه ، وهي رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم(١١). وقد تستعمل تارةً في الرقة المجردة ، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة ، نحو : رحم الله فلاناً ، وإذا وصف به البارئ تعالى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد من دون الرقة ، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام ، ومن الآدميين رقة ولطف(١٢) .

وفرق أبو هلال العسكري بين الرقة والرحمة على الرغم من التقارب الدلالي بين اللفظين وهو ((أن الرقة تكون في القلب وغيره خلقة ، وأمّا الرحمة فتكون من

فعل الراحم ، وهذا الفعل هو نتيجة من نتائج الرقة ؛ ولذلك يقول الناس: رقَّ عليه فرحمه فيجعلون الرقة سبب الرحمة))(١٣) ، وفي هذا يقول (صلى الله عليه وآله وسلّم) مخبراً عن ربه سبحانه: ((لمّا خلق الرَّحم قال تعالى : أنا الرحمن وأنت الرَّحِم شققت اسمك من اسمي ، فمن وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته))(١٤)؛ وذلك إشارة إلى أن الرحمة منضوية على معنيين : الرقة والإحسان، فركَّب تعالى في طباع الناس الرِّقة ، وتفرَّد بالإحسان(١٥).

فالرحمة ومشتقاتها كلها تدور حول التواصل بين الناس ووصف المؤمنين بالتراحم والتعاطف فيما بينهم هو ما أكد عليه رسول الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) في قوله : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))(١٦) ، وقوله : ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ))(١٧) .

ومن الرحمة اشتق الرَّحِم ، وهي البطن لانعطافها على الجنين فعلى هذا يكون وصفه تعالى بالرحمة مجازاً عن انعامه على عباده كالمَلِك إذا عطف على رعيته أصابهم خيره(١٨) .

والرَّحِمُ : رَحِم الأنثى وهو بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن(١٩)،ومنه قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦] والرِّحمُ بالكسر مثله ، قال الأعشى(٢٠):

أمّا الطالبُ نعمة يَمَّمْتَها ووصال رَحم قد بَردَت بلالها

والرَّحِمُ والرِّحمُ: القرابة والجمع أرحام وذوو الرَّحِم هم الأقارب ويقع على كلِّ من يجمع بينك وبينه نسب(٢١)، ومنه قوله تعالى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] ؛ لأن تقطيع الأرحام كناية عن ترك المودة والتواصل وفساد العلاقات ، وذكر الراغب أن الرَّحم استعير للقرابة ((لكونهم خارجين من رحم واحدة))(٢٢)، وذلك ((لأن منها ما يكون ما يُرْحَمُ ويُرَقُ له ولدٍ ، ويقال شاةٌ رحوم ، إذا اشتكت رحمِها بعد النّتاج ، وقد رَحُمَتْ رَحَامَةً ورُحِمِت

رَحْمَاً))(٢٣)، والرَّحِمُ مؤنث، وقيل مذكر وهو الأكثر في القرابةِ مطلقاً ، وجمعه أرحام(٢٤) .

والمَرحَمةُ : الرَّحمةُ تقول: رَحِمتَهُ أرْحَمُهُ رَحْمَةً ومَرْحَمةً وتَرحَّمْتَ عليه أي قلت: رَحْمَةُ اللهِ عليك ،وتَرَّحمَ عليه دعا له بالرَّحمَةِ واسترحَمَهُ سَألهُ الرَّحمةَ ، ورجلٌ مرحومٌ ومُرَّحم شدّدَ للمبالغةِ(٢٥) .

والرحمن : اسم مختص بالله وهو يستعمل غالباً صفة له ولا يثنى ولا يجمع؛ لأنّه لايكون إلاّ لله جلّ وعلا ، ولا يجوز إطلاقه على غيره تعالى ؛ لأنّه مختصُ به، قال القرطبي : ((وأكثر العلماء على أن الرحمن مختص بالله عزّ وجل ، لا يجوز أن يسمى به غيره ، ألا تراه قال : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ﴾ [الإسراء: ١١] ، فعادل الاسم الذي لايشركه فيه غيره ﴿أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾[الزخرف:٤٥] فأخبر الرحمن هو المستحق للعبادة جلَّ وعزّ))(٢٦)، وهو جارٍ مجرى العَلَم المفرد ، ولم يرد في القرآن الكريم مجرداً من (أل التعريف)، وأدغمت اللام في الراء لقربها منها(٢٧) .

والرحيم : اسم وصفه لله تعالى مشتق من الرحمة معناه ذو الرحمة بعباده المفيضة عليهم في الدنيا والآخرة(٢٨)، وقيل : صفة تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما إلى المنعم عليهما(٢٩) .

فالرحمن والرحيم : صفتان لله تعالى ، واسمان من أسمائه الحسنى ، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ((والرحمن أبلغ من الرحيم ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، كقطع وقطّعَ ؛ وذلك إنّما يؤخذ تارة باعتبار الكمية ، وأخرى باعتبار الكيفية ، فعلى الأول ، قيل: يارحمن الدنيا ؛ لأنه يَعُمُ المؤمن والكافر ، ورحيم الآخرة ؛ لأنه يختص بالمؤمن ، وعلى الثاني قيل: يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ؛ لأن النعم الآخروية كلها جسام ، وأمّا النعم الدنيوية فجليلة حقيرة))(٣٠) .

ولاخلاف بين أهل اللغة في أن الموضعين دالان على المبالغة في الرحمة أي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين ، وإنّما الخلاف في طريقة استفادة المبالغة منهما ، وهل هما مترادفان في الوصف بصيغة الرحمة أو بينهما فارق(٣١) ؟

والحق أن إفادة المبالغة حاصلة من تتبع الاستعمال وأن الاستعمال جرى على نكتة في مراعاة واضعي اللغة زيادة المبنى لقصد زيادة في معنى المادة ((ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنّهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل معامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران(٣٢) والعيوق(٣٣) والصعق(٣٤) لم يستعمل في غير الله عز وجل كما أن (الله) من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه (وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا) فباب من تعنتهم في كفرهم))(٣٥)، ويرى بعضهم أن زيادة المبنى لقصد زيادة في معنى المادة إنّما ((هي قاعدة أغلبية لاتتخلف إلاّ في زيادات معروفة موضوعة لزيادة معنى جديد دون زيادة في أصل معنى المادة مثل زيادة التصغير فقد أفادت معنىً زائداً على أصل المادة وليس في زيادة في معنى المادة))(٣٦) .

أمّا الرحمة اصطلاحاً : فهي إرادة الله الخير بأهله وهي على هذا القول صفة ذات، وقيل : هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة وفعل الخير إلى من لم يستحق وعلى هذا القول صفة فعل يجمع بينها الاتساع(٣٧) ،

الدلالة السياقية

هي الدلالة التي نستقيها من ((النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم))(٣٨)، أو من السياق العام للكلام ((إذ تخضع الكلمة للعلاقات المعنوية والظروف الحالية والتعبيرية المحيطة بها ، التي يأتلف بعضها مع بعض لتبين

المعنى الخاص لتلك الكلمة))(٣٩)، وتسمّى بالدلالة الإضافية(٤٠)، أو الهامشية(٤١)، أو ظلال المعنى(٤٢).

وللدلالة السياقية أهمية كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه ؛ لأن الدلالة فيه ترتبط ببعدين أساسيين : ((داخلي أو لنقل (مقالي) ، وهو بعد سياقي لغوي صِرف، يتأسس على وفق طبيعة التراكيب أو التشكيل ، أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات حيث يعلق بعضها ببعض على وفق الأنظمة والقواعد والضوابط المعتمدة في لغة ما وهذه القواعد والأنظمة هي التي تعمل على تحديد القيمة الدلالية لكل كلمة داخل التركيب اللغوي... وبُعد خارجي أو سياق غير لغوي أو سياق موقف أو مقام يحدد الخلفية غير اللغوية المحيطة بالعملية اللغوية))(٤٣).

ومهمة السياق تحديد دلالة الكلمة في نصٍ ما بعد أن كانت متعددة الدلالات في المعجمات ؛ لذلك يوصف المعنى السياقي ((بأنه واحد لايحتمل غير معنى واحد))(٤٤)، وعلى هذا فهو يخلص الكلمة من ركامها الدلالي عبر التاريخ يقول فندريس: ((ويخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية))(٤٥)، معنى هذا أن المعنى السياقي محدد تحكمه علاقة الكلمة بكل ما يحيط بها من عناصر لغوية وغير لغوية خاصة بالمتكلم والمخاطب ،ثقافية واجتماعية ، وهو لا يقبل التعدد ، ففي كل سياق تكتسب الكلمة معنى محدداً مؤقتاً تمثل الكلمة الحضورية لها التي تختلف من سياق إلى آخر ، ولا تتعدد معاني الكلمة فيه إلاّ بتعدد السياقات التي ترد فيه .

وكان للسياق أثرٌ كبيرٌ في بيان دلالة (الرحمة) وتوضيحها ؛ وذلك من خلال فرضه قيمة معنوية واحدة على لفظ الرحمة الواردة في سياق معين من دون آخر، وإكسابها معنى جديداً غير الذي وضعت له في دلالتها المعجمية التي أشرنا إليها آنفاً؛ لأن ظاهر الألفاظ المفردة لايعين على فهم النصوص فهماً صحيحاً ، على أساس أن الكلمة لا قيمة لها في حالة إفرادها ، وإنما يكون حسنها ورداءتها في نظمها ؛ لأن الألفاظ تختلف باختلاف وضعها في سياقات الكلام ، فهي من دون السياق ذات دلالات ثابتة ، على حين يكسبها السياق دلالة جديدة تختلف عمّا

وضعت له أولاً، يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا المعنى: ((إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وإن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لاتعلق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر...))(٤٦) وهذا ما سيكشف عنه في أثناء الحديث عن الدلالات السياقية للفظ الرحمة في الاستعمال القرآني فيما هو قادم من البحث .

الدلالات السياقية للرحمة في القرآن الكريم:

١ ـ دلالة الرحمة على الإحسان :

وردت دلالة الرحمة على الإحسان في سياق الخطاب الموجه من الباري عز وجل لنبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فمعنى قوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ) أي: فبنعمة من الله وإحسان ورحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت لينا مع أتباعك في كل أحوالك ، ولكن من دون إفراط أو تفريط ، فقد وقفت من أخطائهم التي وقعوا فيها في غزوة أحد موقف القائد الحكيم الملهم فلم تعنفهم على ما وقع منهم وأنت تراهم قد استغرقهم الحزن والهم . . بل كنت لينا رفيقا معهم(٤٧).

وفي الآية التفات في خطابهم إلى خطاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، وأصل المعنى ، فقد لآن لكم رسولنا برحمة منّا ؛ ولذلك أمرناه أن يعفو عنكم ويستغفر لكم ويشاوركم في الأمر ، وان يتوكل علينا إذا عزم ، ونكتة الالتفات ماتقدم في أول آيات الغزوة أن الكلام فيه شوب عتاب وتوبيخ ، ولذلك اشتمل على بعض الإعراض في ما يناسبه من الموارد ومنها هذا المورد الذي يتعرض فيه لبيان حال من أحوالهم لها مساس بالاعتراض على النبي (صلى الله عليه واله وسلّم) فإنّ تحزّنهم لقتل من قتل منهم ربّما دلّهم على المناقشة في فعل النبي (صلى الله عليه

واله وسلّم) ورميه بأنه أوردهم مورد القتل والاستئصال ، فأعرض الله تعالى عن مخاطبتهم والتفت إلى نبيه(صلى الله عليه واله وسلّم) مخاطبه بقوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ) ، والكلام متفرع على كلام آخر يدل عليه السياق ، والتقدير: وإذا كانت حالهم ماتراه من التشبيه بالذين كفروا والتحسر على قتلاهم فبرحمة منّا لنت لهم وإلا لانفضوا من حولك(٤٨)؛ ولذلك اتجه في الخطاب هنا إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) بهذا التعبير الدقيق اللبق، والمدح العظيم . وهو يريد أن يلطّف الجو بعد معركة أحد ، ويخفف مما في نفس الرسول على القوم الذين كانوا سبباً في تلك النكبة .

وتمثل هذه الآية الصورة المشرفة المتمثلة في رسول الله وفي قلبه الكبير الرحيم الرفيق الذي يتسع لكل المسلمين، وفي أسلوبه الذي يتفايض بالأحاسيس الطيبة والمشاعر الطاهرة ، والنبضات الرحيمة ، والتعامل بالإحسان ، فلا تتحرك كلماته من موقع قسوة لتؤذي المشاعر ولا تنطلق من حالة فضاضة لتدمي الإحساس ، بل هو اللين والرحمة واللطف والإحسان والعاطفة الحميمة التي تدخل إلى القلوب بكل عفوية ، وبساطة ومحبة ، وتلك هي شخصية الأسلوب الرسالي فيما يريده الإسلام للرسالة من شخصية الأسلوب في حركة الرسول والداعية(٤٩).

٢- دلالة الرحمة على دين الإسلام :

وردت دلالة الرحمة على دين الإسلام في أكثر من موضع من القرآن الكريم، وعلى الرغم من تعدد دلالة لفظ الرحمة وتقاربها في كثير من المواضع ، إلا أن السياق كان له أثر واضح في كشف الدلالات الحقيقية لها ، وهذا الأمر كان سبباً في عدم إجماع المفسرين على دلالة الرحمة على دلالة واحدة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، بسبب التداخل الحاصل في دلالاتها والتقارب الموجود في السياقات التي وردت فيها، وهذا واضح في الآيات التي جاءت فيها الرحمة دالة على دين الإسلام كما في قوله تعالى:﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ

ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] فقوله (يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ) يعني يختص بدين الإسلام(٥٠)، وفي هذه الآية ((أخبر تعالى عباده المؤمنين بأن الكافرين من أهل الكتاب ومن غيرهم من المشركين الوثنيين لا يحبون أن يُنزل عليكم من خير من ربكم وسواء كان قرآناً يحمل أسمى الآداب وأعظم الشرائع وأهدى سبل السعادة والكمال، أو كان غير ذلك من سائر أنواع الخيرات، وذلك حسداً منهم للمؤمنين كما أخبرهم أنه تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده فحسد الكافرين لكم لا يمنع فضل الله عليكم ورحمته بكم متى أرادكم بذلك))(٥١).

وقيل: المراد بالرحمة في الآية الكريمة الإسلام والهداية وأن الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحاق فلما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بودِّ اليهود ومحبتهم ، وأما المشركون فإنما لم تقع بودِّهم ؛ لأنه جاء بتضليلهم وعيب آلهتهم(٥٢).

وقيل أن دلالة الرحمة هنا تختص بالنبوة يعني أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ، ويتفضل بالإيمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم(٥٣) فيكون معنى قوله ((جل ثناؤه:(والله يختص برحمته من يشاء): والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له. و"اختصاصه" إياهم بها، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه. وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه. وكل ذلك رحمة من الله له))(٥٤).

وواضح أن تعدد تأويلات المفسرين بشأن دلالة الرحمة في الآية الكريمة لاينفي صحة تلك التأويلات فكلها مقبولة وإن كان الراجح منها بحسب السياق دلالتها على دين الإسلام ؛ لأن الرحمة تتضمن تلك الدلالات جميعاً من دون أن يكون تناف بينها .

ونظير هذه الدلالة ماورد في قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ [الإنسان: ٣١]أي في دين الإسلام(٥٥)، وكذلك في قوله تعالى:﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨]، وقد اختلف المفسرون في دلالة الرحمة في هذه الآية المباركة فقيل: أنها تدل على دين الإسلام(٥٦) وهو قول أغلب المفسرين ، وقيل : أنها تدل على الجنة أيضا(٥٧)، غير أن الراجح دلالتها على دين الإسلام وهو ما يؤكده سياق الآية فضلا عن القرائن الدلالية المصاحبة للنص ولاسيما القرائن الحالية المتضمنة سبب النزول .

٣ ـ دلالة الرحمة على الإيمان :

تجلّت دلالة الرحمة على الإيمان في سياق الحديث عن قصة نوح مع قومه حينما أخبر تعالى أن نوحاً قال لقومه أرأيتم إن كنت على بيَّنة من ربي أي على علم يقيني بالله تعالى وبصفاته وبما أمرني به من عبادته وتوحيده ؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨] ، وقد اختلفت تأويلات المفسرين في قوله (وآتاني رحمة من عنده) قيل: أي نبوة ورسالة، عن ابن عباس، وهي رحمة على الخلق(٥٨). وقيل: الهداية إلى الله بالبراهين(٥٩). وقيل: الإيمان والإسلام(٦٠).وقال القرطبي في موضع آخر أن الرحمة تدل على ((الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوّة))(٦١) .

وواضح أن هذه التأويلات كلّها راجحة من غير تناف بينها ؛ لأن كلّ واحدة منها تضفي إلى الأخرى ، وكلّها تنضوي تحت الرحمة التي تترشح منها كل تلك الدلالات وهذا ما أكده القرطبي في قوله آنف الذكر غير أن سياق الآية يؤكد أن دلالة الإيمان هي الأولى بالترجيح من غيرها والله أعلم .

٤ ـ دلالة الرحمة على الجنة:

وردت دلالة الرحمة على الجنة في سياق الآية التي نزلت في قصة عبدالله بن جحش وأصحابه ، لما قاتلوا في شهر رجب ، وقتلوا واقد بن الحضرمي فظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ((أي: يطمعون أن يرحمهم الله فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم))(٦٢) ، والآية تشير إلى أن المؤمنين قد يرتكبون خطأ على إثر جهلهم أو عدم اطلاعهم التام على مسألة من المسائل ، كما صدر عن عبدالله بن جحش ، لكن الله يغفر لهم زلتهم لما بذلوه من خدمات كبيرة وجهود صادقة من أجل علو الإسلام ورفعته ،

والتعبير بالرجاء في قوله (يرجون) للتنبيه على أن العبد لابد وأن يكون في جميع أحواله وأعماله بين الخوف والرجاء لا يغتر بأعماله العبادية ولا ييأس من رحمة الله وإلا صدرت منه كبيرة لغلبة نفسه الأمارة بالسوء عليه ، ولعله سبحانه أراد إيجاب الرجاء والطمع على المؤمنين ؛ لأن رجاء رحمة الله من أركان الدين كما أن اليأس من رحمته كفر ، فمن الواجب على المؤمن أن يرجو رحمة ربه وأن لا ييأس من عقوبته ، وأن يدعو ربه وفاً وطمعاً ، فاليأس من أكبر الكبائر ؛ لأنه ينتج عن سوء ظن به جلَّ وعلا(٦٣) .

وواضح أن الرحمة في هذه جاءت دالة على الجنة التي لايمكن أن تنال إلا بالعمل الصالح والمجاهدة في مرضاته وقوله (والله غفور رحيم) تثبيت لرجائهم ووعده منه عزَّ وجل بتحقيق رجائهم ، أي والله يغفر لهم سيئاتهم السابقة(٦٤) .

ونظير هذه الآية في دلالة الرحمة على الجنة الآيتان قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٧]، وقوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧٥]، فقد أجمع المفسرون على أن لفظ الرحمة في الآيتين كان دالا على الجنة(٦٥) .

٥- دلالة الرحمة على الرزق:

وردت دلالة الرحمة على الرزق في مواضع عدة من القرآن الكريم ، منها ماورد في سياق خطاب الباري عزَّ وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) حينما أمره بأن يجابه الظالمين وبما جبلوا عليه من بخل وشح ، بعد أن طلبوا من مقترحات متعنتة فقال تعال: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠] ، أي خزائن رزقه وسائر نعمه التي أفاضها على كافة الموجودات وقوله: (خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي) فيه وجهان: ((أحدهما خزائن الأرزاق ، والثاني خزائن النعم فيخرج في الرحمة قولان: أحدهما الرزق والثاني النعمة ، وتحرير الكلام لو ملكتم ما يملكه الله عز و جل لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفاقة وكان الإنسان يعني الكافر قتورا أي بخيلا ممسكا... إذا قصر في الإنفاق وقال الماوردي لو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى لما جاد))(٦٦).

ونظير هذه الآية في دلالة الرحمة على الرزق قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠]، أي رزقاً ومعنى قوله: (آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك وهي الهداية بالمعرفة والصبر والرزق والأمن من الأعداء وقوله من لدنك يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لائقة بفضل الله تعالى وواسع جوده(٦٧) ، والحديث عن أصحاب الكهف إذ ((يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم (رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا (وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً) أي وقدر لنا من أمرنا هذا رشداً أي اجعل عاقبتنا رشداً، كما جاء في الحديث ((وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً))(٦٨) وفي المسند من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو ((اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة))(٦٩).

وتجلّت دلالة الرحمة على الرزق في موضع آخر من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ [الكهف: ١٦]، فقوله (يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ) أي يجعل لكم من أمركم الذي وقعتم فيه ما يرفق بكم ويصلحكم ويقال مخرجا ونجاة ورزقا(٧٠).

وفي ضوء ما تقدم تبين أن دلالة الرحمة بدت واضحة في الآيات الكريمات محل الاستشهاد على الرزق وهو ما أجمع عليه أغلب المفسرين وأكده سياق الآيات فضلا عن القرائن الدلالية المصاحبة للفظ الرحمة .

٦ـ دلالة الرحمة على الرقة والألفة والمودة:

وردت دلالة الرحمة على الرقة والألفة والمودة في سياق الحديث عن قصة الرهبنة التي زاغت بالنصارى عن الطريق القويم ، كما انحرف اليهود من قبلهم حين ابتلوا بالنظرة العنصرية ، وإذ عالجت الآية السابقة وبإشارة خاطفة عنصرية اليهود وغيرهم ، فإن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ ﴾ [الحديد: ٢٧]، بين بوضوح خطأ الرهبانية وان الطريق القويم يتمثل في سنة الأنبياء الذين توالوا على البشرية برسالة واحدة تحددت معالمها مع الزمن ، وان الخط الواحد والمشترك الذي تهدي إليهم سيرتهم جميعاً هو الميزان في مقياس الحق الذي يتمثل في القرآن(٧١) ، ومعنى (الرأفة والرحمة) في قوله(وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ) هي الرقة والألفة والمودة التي جعلها الله في قلوب الحواريين يتراحمون بها بخلاف اليهود فإنهم ليسوا كذلك وأصل الرأفة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرأفة أشد من الرحمة(٧٢)، وقيل: إن الرأفة هي العطف القلبي ، في حين الرحمة هي المظهر الخارجي لها مثل العطاء وخفض الجناح(٧٣) ،أو هي((الثمرة الطبيعية لدعوة المسيح – عليه السلام – وروحها السمحة وتطهرها الروحي ، وشفافيتها الوضيئة والرأفة والرحمة ظاهرة

واضحة في المؤمنين حقيقة برسالة عيسى عليه السلام، ممن أحسنوا إتباعه . وقد أشارت إليها آيات أخرى في القرآن الكريم ، كما حفظ منها التاريخ صوراً يرويها الرواة عن النجاشي وعن وفد نجران وعن أفراد ممن وفدوا على دار الإسلام بعد ظهوره راغبين في الإسلام ، بحكم ما استقر في قلوبهم من الحق ، مذ كانوا أتباع عيسى بن مريم بحق))(٧٤) .

فالرأفة والرحمة من أظهر وأعظم صفات الله في تعامله مع خلقه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهكذا تستهدف الرسالات الإلهية إنقاذ الناس من الصفات البشرية لتركز فيهم أخلاق الله ليكونوا من المؤمنين.

وتجلّت دلالة الرحمة على الرقة والألفة والمودة في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال البغوي ((متعاطفون متراحمون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد))(٧٥)، وفي الآية إخبار من الله تعالى إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) وإلى خلقه والذين معه من المؤمنين يعني المصدقين بوحدانية الله المعترفين بنبوته الناصرين له أشداء على الكفار، والشدة على الكفار : هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم ، وهذا وصف مدح ؛ لأن المؤمنين الذين مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله والبغض في الله من الإيمان ، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى المؤمنين إيماناً من أجْل إشراق أنوار النبوءة على قلوبهم فلا جرم أن يكونوا أشد على الكفار فإن بين نفوس الفريقين تمام المضادة وما كانت كراهيتهم للصلح مع الكفار يوم الحديبية ورغبتهم في قتل أسراهم الذين ثقفوهم يوم الحديبية وعفا عنهم النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا من آثار شدتهم على الكفار(٧٦) ، وأما كونهم رحماء بينهم فذلك من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في نفوسهم . وقد وردت أخبار أخوتهم وتراحمهم في مواضع كثيرة من القرآن وكلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في قوله:

((تجد المسلمين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى له جميع الجسد بالسهر والحمى))(٧٧).

وفي ضوء ما تقدم تكون الرحمة في الآية الكريمة دالة على الرقة والألفة والمودة وهو ما أجمع عليه المفسرون ، وجاء موافقاً للدلالة اللغوية .

٧ـ دلالة الرحمة على السعة

تجلّت دلالة الرحمة على السعة في الخطاب الموجه إلى المؤمنين خاصة كون الحكم خاصاً بالمسلمين ؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ **[البقرة: ١٧٨]**.

وقبل الشروع في التفسير لا بد من ذكر سبب نزول هذه الآية إذ ((شاع بين القبائل العربية انتقام قبيلة من قبيلة أخرى ، ولم يكن لهذا الانتقام حدود ، فنزلت الآية وشرعت حكم القصاص ، وهذا الحكم الإسلامي جاء ليقرر الموقف من عرفين قائمين عند العرب، عرف يرى حتمية القصاص ، وعرف يرى حتمية الدية ، فجاءت الآية لتقرر القصاص عند عدم موافقة أولياء المقتول على أخذ الدية، وإن وافقوا فالدية...))(٧٨) .

وقد أجمع أغلب المفسرين أن الرحمة في قوله (ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ) جاءت دالة على السعة(٧٩)، المقصود بها توسع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل. لما فيه من التسهيل والسعة والنفع إشارة إلى الحكم المذكور من العفو والدية حيث لم يجرّم بالعفو وأخذ الدية بل خيرهم بين القصاص والدية والعفو مطلقاً ؛ وذلك لأن في شرع موسى (عليه السلام) القصاص فقط وهو العدل المحض ، وفي دين عيسى(عليه السلام) العفو

وهو الفصل بحسب ، وفي شرعنا القصاص للتشفي ، والدية للترفه ، والعفو للتكرم (٨٠).

وقيل : لم يكن العفو في أمة قبل هذه الأمة ، وهذه الأمة خيرت بين القصاص وبين العفو والدية ، وكان العفو والدية تخفيفاً من الله إذ فيه انتفاع الولي بالدّية ، وحصول الأجر بالعفو استبقاء مهجة القاتل ، وبذل ما سوى النفس هين في استبقائها ، وأضاف هذا التخفيف إلى الرب ؛ لأنه المصلح لأحوال عبيده ، الناظر لهم في تحصيل ما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية ، وعطف (وَرَحْمَةٌ) على (تَخْفِيفٌ) ؛لأن من استبقى مهجتك بعد استحقاق إتلافها فقد رحمك. وأي رحمة أعظم من ذلك ؟ ولعل القاتل المعفو عنه يستقل من الأعمال الصالحة في المدة التي عاشها بعد استحقاق قتله(٨١) .

٨ـ دلالة الرحمة على الشمس:

تجلّت دلالة الرحمة على الشمس في سياق الحديث عن آيات وعلائم التوحيد ،وفي تبيين نعم وألطاف الخالق ؛ وذلك في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨] ففي ((الرحمة هاهنا قولان أحدهما المطر قاله مقاتل والثاني الشمس بعد المطر حكاه أبو سليمان الدمشقي))(٨٢)، في حين يرى بعض المفسرين أن الرحمة هي الشمس وذلك تعديد نعمة غير الأولى؛ لأن المطر إذا جاء بعد القنوط حسن موقعه فإذا دام سئم وتجيء الشمس بعده عظيمة الوقع ، ومن البعيد جدا ما قاله السدي من أن الرحمة هنا المطر نفسه بتعداد النعمة بلفظين ؛ لأن نشر الرحمة لا ينحصر في المطر بل في تفريق النعمة بين الناس بإنبات النبات وإخراج الثمار التي يكون سببها المطر وآثاره في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة(٨٣) .

وتعدُّ هذه الآية من آيات الهيمنة والحكمة لأنها تمثل مظهرا آخر لحكمة الله في تدبير الحياة ، فالغيث الذي يمنعه الله عن العباد أو يرسله إليهم حسب حاجتهم واستحقاقهم بعد أن يجتاحهم القنوط ، وتكبح فيهم صفة الكبر ، وتمنع عنهم صفة الطغيان ؛ لأنهم لم يقدروا على تحصيل الماء بطريقة أخرى بعدئذ يرسل الغيث

وينشر عليهم رحمته بنزوله لإحياء الأراضي الميتة ونمو النبات وتأمين حياة العباد بأسلوب تتجلى فيه بلاغة القرآن ، حيث تتوازى فيه كلمة الغيث التي تعني ماتعني الإغاثة مع كلمة القنوط الذي تعني شدة الحاجة(٨٤) .

٩ـ دلالة الرحمة على العافية

وردت دلالة الرحمة على العافية في موضعين من القرآن الكريم ، أولها: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾[الروم: ٣٦]، وقد ذكر أغلب المفسرين أن دلالة الرحمة في الآية الكريم هي العافية(٨٥)، أي ((إذا أذقنا الناس منا نعمة مِن صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأَشَرٍ، لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم يَيْئَسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة))(٨٦)؛ لأن الله تبارك وتعالى خبّر عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء والشدة أنهم إذا أذاقهم اللّه منه رحمة من صحة وغنى ونصر وعافية ونحو ذلك فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجحوا بنعمة اللّه.(وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من المعاصي. ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة.

وحين ننظر إلى أسلوب الآية نجد فيه مفارقات عديدة، ففي الكلام عن الرحمة قال (وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا...) فاستخدم أداة الشرط (إذا) . أما في المصيبة فقال (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) فاستخدم أداة الشرط (إنْ)، فلماذا عدلَ عن رتابة الأسلوب من إذا إلى إن ؟

قالوا: حين تقارن بين النعَم وبين المصائب التي تنزل بالإنسان في دنياه تجد أن النعم كثيرة والمصائب قليلة، فنعم الله متوالية عليك في كل وقت لا تُعدُّ ولا تحصى، أمّا المصائب فربما تُعَدُّ على الأصابع؛ لذلك استخدم مع النعمَ (إذا) الدالة على التحقيق، ومع المصيبة استخدم (إنْ) الدالة على الشك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: ١] فاستعمل (إذا) ؛لأنها تدلُّ على التحقيق وتُرجِّح

حدوث النصر، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ [التوبة: ٦].فاستعمل (إنْ)؛لأنها تدل على الشك ؛ لذلك لما تعرضتْ الآيات لِعَدِّ نِعَم الله استخدمتْ (إنْ) الدالة على الشكِّ؛ لأنها لا تقع تحت الحصر ولا العَدِّ، لكن على فرض إنْ حاولت عدَّها فلن تُحصيها، والآن ومع تقدُّم العلوم وتخصُّص كليات بكاملها لدراسة علم الإحصاء ، لكن لم يتعرض أحد لأنْ يُحصي نعمة الله، لماذا؟

لأن الإقبال على الإحصاء لا يكون إلا مع مظنَّة أنْ تُعدَّ وتستوعب ما تحصيه، فإنْ كان خارج نطاق استيعابك فلن تتعرض لإحصائه كما لم يتعرَّضْ أحد مثلاً لِعَدِّ الرمال في الصحراء؛ لذلك يُشككم الله في أنْ تعدُّ نعمه قال تعالى:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[إبراهيم: ٣٤] فهو أمر مُستبعد، ولن يكون[٨٧].

أمّا الموضع الثاني ففي قوله تعالى:﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾[الزمر: ٣٨]، **فقوله** (**أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ**) أي بنعمة وعافية وخير[٨٨].

وفي الآية أمر من الله إلى نبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلّم)أن يقول لهؤلاء الجاهلين مبكتاً وموبخاً ((إذا كان الأمر كما ذكرتم من أن الخالق لهذا الكون هو الله ، فأخبرونى عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه – سبحانه – : أتستطيع أن تدفع ضرا أراده الله – تعالى – بى؟ أم تستطيع أن تمنع رحمة أو خيرا أعطاه الله لى؟ كلا إنها لا تستطيع شيئا من ذلك ، وعبادتكم لها إنما هى نوع من السفه والحماقة))[٨٩] .

قال صاحب الكشاف : ((فإن قلت : لم فرض المسألة فى نفسه دونهم؟ قلت : لأنهم خوفوه مضرة الأوثان وتخبيلها ، فأمر بأن يقررهم – أولا – بأن خالق العالم هو الله وحده ، ثم يقول لهم بعد التقرير : فإذا أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل ، أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما . هل هؤلاء اللائي خوفتمونى إياهن كاشفات عنى ضره ، أو ممسكات

رحمته ، حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم ، حتى لا يحيروا ببنت شفة قال : (حَسْبِيَ الله) كافياً لمضرة أوثانكم { عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المتوكلون } وفيه تهكم))(٩١) .

١٠ ـ دلالة الرحمة على العصمة:

وردت دلالة الرحمة على العصمة في أكثر من موضع في القرآن الكريم ؛وذلك في سياق الحديث عن حكاية نبي الله نوح (عليه السلام) مع ابنه حين أمره أن ينضم إلى السفينة خوفا من الغرق إلا أنه أبى وامتنع راداً دعوة أبيه بأنه سينضم إلى جبل يعصمه من الماء ويقيه من الغرق؛ وذلك في قوله تعالى :﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [هود: ٤٣]، وتجلّت دلالة الرحمة على العصمة في قوله (**لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ**)، أي إلا من آمن فعصمه تعالى(٩١)، ومعنى ذلك أنه ((لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك ، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم))(٩٢).

ونظير هذه الآية في دلالة الرحمة على العصمة قوله تعالى:﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٣]،((أي إلا من رحمه الله بالعصمة))(٩٣) .

وفي الآية إشارة إلى العصمة حين رؤية البرهان ((قالت امرأة العزيز: وما أزكي نفسي ولا أبرئها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذاتها، إلا مَن عصمه الله. إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم))(٩٤).

ويجوز أن يكون (مَا رَحِمَ) في معنى الزمن ، أي : إلا وقت رحمة ربي ، يعني أنها أمّارة بالسوء في كل وقت وأوان ، إلا وقت العصمة . ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً ، أي : ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة ، كقوله : ﴿ **وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ** ﴾ [يس: ٤٣ ــ ٤٤] وقيل

معناه : ذلك ليعلم أني لم أخنه لأنّ المعصية خيانة . وقيل : هو من كلام امرأة العزيز ، أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة ، فإني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إنّ كل نفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي : إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (٩٥) .

وفي ضوء ما تقدم تبين أن لفظ الرحمة في الآيتين دلّ على العصمة الناتجة عن رحمة الله سبحانه بعباده فضلاً عن القرائن التي صاحبت هذه اللفظة في الآيتين الكريمتين التي مثلت عناصر دلالية مضافة في بيان وإيضاح هذه الدلالة .

١١ـ دلالة الرحمة على العفو :

وردت دلالة الرحمة على العفو في النداء الذي يوجهه الباري عز وجل إلى عباده الخاطئين الذين توغلوا في الخطيئة ، أن لايستسلموا لليأس ، وأن لايبتعدوا كثيراً عنه ، وأن يفكروا في مواقفهم على أساس تصحيح الانحراف بالطريقة التي يرجعون بها إلى الله في خط عملي يلتقون فيه بخط الاستقامة في رحمة الله ومغفرته وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وهذا النداء هو ((دعوة صريحة من الله للذين جاروا على أنفسهم بارتكاب الذنوب والمعاصي، دعوة منه تعالى الى التوبة ، ووعد بالعفو والصفح عن كل ذنب مهما كبر وعظم ، وبهذا ترك سبحانه الباب مفتوحاً أمام من يريد أن يكفّر عن سيئاته ، ويصلح مافسد من نفسه ، وفي الحديث : **(فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)**(٩٦) ، فإذا تركتم ترك ، أي إذا تركتم التوبة أترك المغفرة))(٩٧) .

فالآية فتحت الأبواب أمام المذنبين وأعطتهم الأمل ؛ لأن الهدف الرئيس من كلّ هذه الأمور هو التربية والهداية وليس الانتقام والعنف فبلهجة مملوءة باللطف

والمحبة يفتح الباري أبواب رحمته ويصدر أوامر العفو عنهم حينما يقول : (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ)(٩٨) .

ولهذا السبب فإن الآية المذكورة تعدّ من أوسع آيات القرآن المجيد وأشملها ، إذ تعطي الأمل بغفران كل الذنوب والعفو عنها ، وإنها ((أبلغ آية في الإشفاق من الله تعالى إلى عباده، لعلمه بأنه ما حرمهم ما تفضل به على غيرهم ، فرحمهم حتى أدخلهم في عين الكرم بالذكر القديم لهم . وقد حكي عن جبريل عليه الصلاة والسلام أنه سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول : يا كريم العفو . فقال له جبريل عليه السلام : يا إبراهيم ، أتدري ما كرم عفوه؟ قال : لا يا جبريل . قال : إذا عفا عن سيئة جعلها حسنة . ثم قال سهل : اشهدوا علي أني من ديني أن لا أتبرأ من فساق أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفجارهم وقاتلهم وزانيهم وسارقهم، فإن الله تعالى لا يُدْرَك غاية كرمه وفضله وإحسانه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة))(٩٩) .

١٢ ـ دلالة الرحمة على عيسى (ع) :

تجلّت دلالة الرحمة على نبي الله عيسى (عليه السلام) في سياق الحديث عن قصة عيسى ومريم (عليهما السلام)، التي تعدُّ أكبر إعجازا في عالم الخلق والقدرة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم: ٢١] أي لنجعل ((هذا الغلام رحمة من الله ونبياً من الأنبياء، يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، كما قال تعالى في الآية الأخرى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) أي يدعو إلى عبادة ربه في مهده وكهولته))(١٠٠) .

وجاءت هذه الآية مناسبة لما قبلها ؛ لأنه تعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد وإجابة الله إياه فولد له من شيخ فانٍ وعجوز له عاقر ، وكان ذلك مما يتعجب

منه ، أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير ذكر ، فدلّ ذلك على عظم قدرة الله(١٠١) .

فالرحمة في الآية الكريمة جاءت دالة على نبي الله عيسى (عليه السلام) وإن لم يقل به صراحة غير أن سياق الآية واضح في الدلالة عليه فضلاً عن كونه جعله رحمة منه لمن آمن به. ومن كفر به فلم يبتغ الرحمة له، كما قال تعالى في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:١٠٧].

١٣ ـ دلالة الرحمة على النبي محمد (ص) :

تجلّت دلالة الرحمة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في سياق الخطاب الموجه إليه من الله عزّ وجل في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، يخبر تعالى أن الله جعل محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم ((مؤمنهم وكافرهم فأما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله))(١٠٢)، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة.

وقد صيغت هذه الآية بأبلغ نظم إذ اشتملت بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ومدح مرسله تعالى ، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه .

فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيه الرسول ، ومرسله ، والمرسَل إليهم ، والرسالة ، وأوصاف هؤلاء الأربعة ، مع إفادة عموم الأحوال ، واستغراق المرسل إليهم ، وخصوصية الحصر ، وتنكير (رحمة) للتعظيم ، إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم وإلا لقيل : إلا لنرحم العالمين ، أو إلا أنك الرحمة للعالمين . وليس التنكير للإفراد قطعاً لظهور أنّ المراد جنس الرحمة وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم . وأن انتصاب (رحمة) على أنه حال من ضمير المخاطب يجعله وصفاً

من أوصافه فإذا انضم إلى ذلك انحصار الموصوف في هذه الصفة صار من قصر الموصوف على الصفة . ففيه إيماء لطيف إلى أن الرسول اتحد بالرحمة وانحصر فيها ، ومن المعلوم أن عنوان الرسُولية ملازم له في سائر أحواله ، فصار وجوده رحمةً وسائر أكوانه رحمة . ووقوع الوصف مصدراً يفيد المبالغة في هذا الاتحاد بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله(١٠٣) .

وعلل بعض المفسرين سبب تسمية الرسول الأعظم بالرحمة ؛ لأنه جاء ((بالرسالة التي تفتح عليهم كلّ أمورهم لتقودهم إلى الصراط المستقيم في الدنيا ، والى النعيم الخالد في الآخرة ، وتثير فيهم كلّ نوازع الخير ، وتبتعد عنهم نوازع الشر ، وتركز العلاقات فيما بينهم على أسس ثابتة من القيم والمبادئ فلا تهتز ولا تنحرف ، ولا تسقط بفعل المطامع والأهواء والشهوات ، وتوحي إليهم بالسلام الروحي الذي يطوف بهم في كل آفاق الصفاء والنقاء والإشعاع والإيمان والهدوء النفسي القائم على الخير والعدل والحياة ، أما رحمته في شخصه فقد كان يمثل الخلق العظيم الذي ينساب في قلوب كل من حوله حباً وعاطفة وروحاً وخيراً وسلاماً ، وهكذا اجتمعت فيه رحمة الرسول ورحمة الرسالة في الفكر والحركة والإنسان والحياة...وذلك بتجسيد الرحمة في مواقفهم وكلماتهم وعلاقاتهم وروحيتهم في كل المجالات لا أن تكون الرحمة حركة انفعال ، بل أن تكون موقف حق وخير واستقامة وإيمان ؛لأن الرحمة تمثل العمق في شخصية الإنسان الفكرية والعملية فتتفاعل في كل دوائره الصغيرة أو الكبيرة التي يتحرك داخلها ليكون القدوة في الرحمة ، والحرمة في القدوة))(١٠٤) .

وهكذا يكون لفظ الرحمة في الآية المذكورة آنفاً دالاً على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) صراحة وهذا ما أجمع عليه المفسرون قدامى ومحدثين .

١٤- دلالة الرحمة على المطر :

تجلّت دلالة الرحمة على المطر في أكثر من موضع في القران الكريم ومنها في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۗ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، أراد بالرحمة هنا : المطر أي قدّام رحمته والمعنى : أنّه سبحانه يرسل الرياح

ناشرات أو مبشرات بين يدي المطر(١٠٥)، وقوله (بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ) من المجاز الحسن ، وحسن هذا المجاز أن اليدين تستعملهما العرب في معنى التقدُمَةِ على سبيل المجاز ، يقال في الفتن تحدثُ بين يدي الساعة يريدون قبلها ؛ لأن يدي الإنسان مُتقدِّماته ، فكل مايتقدّمُ شيئاً يطلق عليه لفظ اليدين مجازاً لهذه المشابهة كما تقول لمن أحسن إليك وتقّم إحسانه ، له عندي أيادٍ ، ولما كانت الرياح تتقدّم المطر عبّر عنه بهذا اللفظ(١٠٦) .

فالمراد بالرحمة في الآية الكريمة كما ذهب إليه أغلب المفسرين(١٠٧): المطر، ((وسميَّ رحمة لما يترتب عليه بحسب جري العادة من المنافع ، ولا يخفى أن الرحمة في المشهور عامة ، فإطلاقها على ذلك إن كان من حيث خصوصه مجاز لكونه استعمال اللفظ في غير ما وضع له إذ اللفظ لم يوضع لذلك الخاص بخصوصه وإن كان إطلاقها عليه لابخصوصه بل باعتبار عمومه وكونه فرداً من أفراد العام فهو حقيقة ؛ لأنّه استعمال وضع له))(١٠٨) .

وقد ذكر أحد الباحثين عدم معرفة الناس قبل نزول القرآن الكريم بحقيقة تكون المطر وأن الهواء يحمل مقادير من الماء على هيئة بخار ، وأن هذا البخار هو الذي يكوّن السحب ويعطي المطر حينما تندفع تيارات الهواء إلى أعلى وتبرد تحت تأثير الانتشار وتقليل الضغط الواقع عليها بالارتفاع ، فالماء أصل تكوّن السحاب بتوافر عوامل تجتمع تتفاعل معاً فتكوّن السحاب(١٠٩).

واتضحت هذة الدلالة أيضاً في سياق الخطاب الموجه الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم)والى جميع المكلفين ، وذلك في قوله تعالى:﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الروم: ٥٠] ، فالمراد برحمة الله المطر النازل من السحاب الذي بسطته الرياح(١١٠). والآثار جمع الأثر: وهو مايبقى بعد الشيء فيدل عليه كأثر القدم وأثر البناء ، واستعير لكل ما يتفرعُ إلى شيء(١١١)، والمقصود بالآثار في الآية الكريمة إحياء الأرض بعد موتها ، وهذا الإحياء ثابت بالعيان ، وهو دليل قطع محسوس على أن فكرة البعث والإحياء

بعد الموت من حيث هي صحيحة لاتقبل الشك ؛ لأن العاقل إذا تنبه وتدبر إحياء الأرض بعد موتها لابدّ من أن يسلّم ويؤمن بفكرة البعث وإلاّ كان من الذين يجمعون بين الإيمان بوجود الشيء والإيمان بعدمه في آنٍ واحد ، وبداهة هذا الجمع ممتنع بذاته وطبعه، وهنا تكمن السر في تكرار الآيات التي تنبّه العقول إلى إحياء الأرض بعد موتها بوصفها دليل على إمكان البعث من هذه الآيات ومنها قوله تعالى:﴿ **وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ** ﴾ **[فاطر: ٩]** ، **وقوله تعالى:**﴿ **وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ** ﴾ **[فصلت: ٣٩]**(١١٢) .

واختلفوا أيضاً في قراءتها فقد قرأ الجمهور بالتوحيد (إلى أثر)، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالجمع (إلى آثار)، ((فالإفراد فيه والجمع سبق لهما نظائر مثل : رسالته ورسالاته ، وكلمة وكلماته ، وذرية وذرياته ، والإفراد يراد به الجنس ، ووجه الجمع ظاهر ومعنى كم شرفاً علاكم علا شرفاً ، والمميز محذوف أي كم مرةٍ وقع ذلك والله أعلم))(١١٣).

ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس؛ قوله تعالى:﴿ **وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ** ﴾ **[الروم: ٤٦]** ، فقوله (**وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ**) أي بإنزاله المطر الذي تحيا به البلاد والعباد،المترتب عليه الخصب والرخاء ، ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيئته، ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها؛ فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبدوه وحده(١١٤).

١٥ـ دلالة الرحمة على المغفرة

تعدّ المغفرة أحد الدلالات اللغوية للفظ الرحمة ؛ لأن أَصل الغَفْرِ التغطية والستر، يقال: غَفَر ذنوبه أَي سترها(١١٥)، والمغفرة هي أن يستر القادر القبيح

الصادر ممن تحت قدرته(١١٦) ، أو صيانة العبد عما استحقه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه(١١٧) .

ووردت دلالة الرحمة على المغفرة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، أي المغفرة(١١٨)، إذ يأمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأن يكرم الذين يأتون إليه من المؤمنين ، وبأن يرد السلام عليهم ، ويبشرهم برحمته الواسعة، والشاملة لهم ، التي أوجبها الله على نفسه الكريمة تفضلاً وإحساناً وامتناناً وأنه من عمل منهم سوءاً وهو جاهل ، ثم تاب ورجع عما كان عليه ، وأقلع عن المعاصي ، وعزم على أن لايعود إليها ، وأصلح العمل في المستقبل ، فإن الله يعده بالمغفرة(١١٩).

وقوله (كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ)، ((جملة مستقلة داخلة تحت الأمر صادحة بشمول رحمته عز و جل لجميع الخلق اثر بيان شمول ملكه وقدرته سبحانه وتعالى للكل المصحح لانزال العقوبة بالمكذبين مسوقة لبيان أنه تعالى رءوف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة وما سبق وما لحق من أحكام الغضب ليس إلا من سوء اختيار العباد لسوء استعدادهم الأزلي لا من مقتضيات ذاته جل وعلا وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ومعنى كتب الرحمة على نفسه جلّ شأنه إيجابها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء وقيل : هو ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فوضعه عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي وفي رواية ابن مردويه إن الله تعالى كتب كتابا بيده لنفسه قبل أن يخلق السموات والأرض فوضعه تحت عرشه فيه رحمتي سبقت غضبي إلى غير ذلك من الأخبار ومعنى سبق الرحمة وغلبتها فيها أنها أقدم تعلقا بالخلق وأكثر وصولا إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيضة للخير))(١٢٠) .

١٦ـ دلالة الرحمة على النبوة :

وردت دلالة الرحمة على النبوة في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها في قوله تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فالمراد بالرحمة : النبوة والرسالة(١٢١) ، وهذا ما اتفق عليه جمهور المفسرين قديما وحديثاً(١٢٢)، يدل على ذلك :

١ـ دلالة السياق على هذا المعنى ، فان ما قبلها من الآيات كان حديثها عن إرسال الرسول بالدين الحق وتكذيب الكفار له كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[الزخرف:٣٠] ثم اقتراحهم بأن ينزل القرآن على أحد زعمائهم المعروفين آنذاك ، إذ حكي القرآن عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، فجاء الرد مع الإنكار أن يكون لهم تحكم ورأي في إنزال الوحي وهذا ما عبر عنه في قوله (أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ)، لما فيترجح أن يراد بالرحمة: النبوة والرسالة؛ لأنه المناسب لما قبله(١٢٣).

٢ ـ يؤكد هذا الترجيح أيضاً مادلت عليه آيات أخرى من كتاب الله عزّ وجل عبّر فيها عن النبوة والرسالة بالرحمة كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]، وقوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [القصص: ٨٦] ، وقوله تعالى: ﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الدخان: ٦-٧] . تحمل الرحمة هنا في سورة الزخرف على ما حملت عليه في تلك الآيات .

والهمزة في قوله (أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ) للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم أن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لم يصلح لها ويقوم بها ، والمتولين لقسمة الله التي لايتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته(١٢٤)،

فضلا عن أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم غير أن هذه الشبهات التي كانوا يعتقدونها مردودة وباطلة من وجوه عدة(١٢٥) :

١ ــ إنّا إذا أوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ، ولم يقدر أحد من الخلق على التفسير ، فالتفاوت الذي أوقعناه في مناصب الدين والنبوة بأن لايقدروا على التصرف أولى

٢ ــ إن اختصاص ذلك المعنى في ذلك الرجل إنّما كان لأجل حكمنا وفضلنا وإحساننا فكيف يليق بالعقل أن يجعل إحساناً إليه بكثرة المال حجة علينا في أن يحسن النبوة ؟

٣ ــ إنّا إنما أوقعنا التفاوت في الإحسان بمنافع الدنيا لابسبب سابق فَلِمَ لا يجوز أيضاً أن يوقع التفاوت في الإحسان بمناصب الدين والنبوة لا لسبب سابق ؟

ونظير هذه الآية في دلالة الرحمة على النبوة ما ورد في سياق الرد على المشركين فيما أنكروا من اختصاص (محمد) (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالنبوة وذلك في قوله تعالى:﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾[ص: ٩]، فالمراد بخزائن الرحمة هنا النبوة(١٢٦) ، أي أنّهم ليس عندهم خزائن رحمة الله تعالى حتى يعطوا النبوة من شاءوا ويتصرفون فيها حسبما يشاءون ويصرفوها عمن شاءوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم، فالنبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده ، ثمَّ وصف نفسه بالعزيز الوهاب ؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء أي الغالب الذي لا يغلب ، والوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء وينعم على من يشاء فلا حاجة لهم فيما أنكروا(١٢٧) .

وفي ضوء ما تقدم نجد أن لفظ الرحمة ورد دالاً على النبوة يؤكد ذلك السياق الذي ورد فيه ، فضلا عن القرائن الدلالية المصاحبة للفظ في النصوص الوارد فيها

١٧ـ دلالة الرحمة على النصر

وردت دلالة الرحمة على النصر في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧]، أي خيرا ونصرا وعافية(١٢٨) .

ونلحظ على سياق الآية أنها جاءت بأسلوب الاستفهام، ولم تأْتِ على صورة الخبر، فلم يَقُلْ القرآن لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، قل يا محمد، لا يُعصَم أحد من الله إنْ أرادكم بسوء؛ لأن الجملة الخبرية محتملة للصدق وللكذب، إنما شاء الله أن يجعلها جملة إنشائية استفهامية؛ ليقرروا هم بأنفسهم هذه الحقيقة، كأنه تعالى يقول لهم: لقد ارتضيتُ حكمكم أنتم، ولو لم يكُنْ الحق سبحانه واثقاً من أن الجواب لن يأتي إلا: لا أحدَ لَمَا جاء بالأسلوب في صورة استفهام، إذن: فالاستفهام هنا آكد في تقرير صِدْق هذه الجملة(١٢٩).

وفي الآية تنبيه على أن الشر والخير تابعان لإرادة الله مخلصاً لايمنع عن نفوذهما سبب من الأسباب ولا يعلم الإنسان منها أحد ، فالحزم إيكال الأمر إلى إرادته تعالى والقرار على أمره بالتوكل عليه ، ولما كانت قلوبهم مرضى أو مشغولة بكفر مستبطن عدل عن أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بتكليمهم إلى تكليم نفسه فقال:(وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)(١٣٠) .

وفي قوله (أراد بكم رحمة) محذوف تقديره: أو يجرمكم إن أراد بكم رحمة)، وهذا ما يعرف بدلالة الاقتضاء وهي: ماكان المدلول فيه مضمراً أي محذوفاً من الكلام، ويكون تقديره ضرورياً يتوقف عليه صدق المتكلم ، أو يستحيل فهم الكلام عقلاً إلاّ به ، أو يمتنع وجود الملفوظ شرعاً إلاّ به(١٣١) ، كقول الراعي(١٣٢) :

إذا ما الغانيات برزنَ يوماً ... وزجَّجْن الحواجب والعيونا

تقديره : وكحّلن العيون ، لأن العيون لا تزجج ولكنها تكحل حين تزجج الحواجبُ وذلك من التزّين.

وبهذا يتبين أن الرحمة في الآية الكريمة جاءت دالة على النصر فضلاً عن السلامة والعافية اللتان أشار إليهما غير واحد من المفسرين وهذا مايؤكده سياق الآية والقرائن السياقية الدلالية المصاحبة للفظة في النص .

١٨ـ دلالة الرحمة على النعمة :

تجلت دلالة الرحمة على النعمة في الخطاب الموجه للمؤمنين وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣]

وقد اختلف المفسرون في تأويل الرحمة في الآية الكريمة إذ قال : ابن عطية : والمعنى لولا هداية الله لكم وإرشاده لبقيتم على كفركم وهو إتباع الشيطان. وقيل: فضل الله للرسول وهو تأييده بألطافه السنية . وقيل : الإسلام. وقيل : القرآن، وقيل : في الرحمة أنها الوحي. وقيل : اللطف. وقيل : النعمة. وقيل : التوفيق(١٣٣).

وفي الآية إشارة إلى حادثة (بني الابيرق) وهذه تؤكد أن الله صان النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بفضله ونعمته من كيد المنافقين ((قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ولولا إنعام الله عليكم، أيها المؤمنون، بفضله وتوفيقه ورحمته، فأنقذكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين الذين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بأمر:"طاعة"، فإذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذي يقول لكنتم مثلهم، فاتبعتم الشيطان إلا قليلا كما اتبعه هؤلاء الذين وصف صفتهم))(١٣٤).

وواضح من كلام المفسرين أن الرحمة في الآية الكريمة وان اختلفت تأويلات المفسرين في دلالاتها إلا أنها تلتقي معا في دلالتها على الأنعام التي منّ الله تعالى بها على المؤمنين وهذا قول الطبري في تفسيره .

ونظير هذه الدلالة واضح في موضع آخر من سورة النساء ؛وذلك في سياق الخطاب الموجه للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) حيث أكد أن الفضل والرحمة في قوله تعالى:﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ** ﴾ **[النساء:١١٣]**، لرسول الله وأنه نبه على الحق في قصة بني أبيرق . فـ((المراد بالفضل والرحمة هنا نعمة إنزال الكتاب تفصيلا لوجوه الحق في الحكم وعصمته من الوقوع في الخطأ فيه. وظاهر الآية أن هم طائفة من الذين يختانون أنفسهم بأن يضلوا الرسول غير واقع من أصله فضلا عن أن يضلوه بالفعل. ومعنى ذلك أن علمهم بأمانته يزعجهم عن محاولة ترويج الباطل عليه إذ قد اشتهر بين الناس، مؤمنهم وكافرهم، أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمين فلا يسعهم إلا حكاية الصدق عنده، وأن بني ظفر لما اشتكوا إليه من صنيع قتادة بن النعمان وعمه كانوا يظنون أن أصحابهم بني أبيرق على الحق، أو أن بني أبيرق لما شكوا

إلى رسول الله بما صنعه قتادة كانوا موجسين خيفة أن يطلع الله ورسوله على جلية الأمر، فكان ما حاولوه من تضليل الرسول طمعا لا هما، لأن الهم هو العزم على الفعل والثقة به، وإنما كان انتفاء همهم تضليله فضلا ورحمة، لدلالته على وقاره في نفوس الناس، وذلك فضل عظيم))(١٣٥).

وتجلّت دلالة الرحمة على النعمة أيضاً في قوله تعالى:**﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]**،أي وهبناه نعمة عظيمة، وفضلا كبيرا وهي الكرامات التي أظهرها الله على يديه ــ أي الخضر عليه السلام ــ(١٣٦). وقيل أن قوله(آتيناه رحمة من عندنا) فيه أربعة تأويلات : أحدها : النبوة ، قاله مقاتل :الثاني : النعمة . الثالث : الطاعة . الرابع : طول الحياة(١٣٧) .

فالرحمة : النعمة ، والرحمة بالناس إذ يفعل ما يكون فيه صالحهم قابلا ، وإن لم يعلموه عاجلا ، والعلم الذى من لدن الله تعالى العلم بعواقب الأمور ، بالإدراك الباطنى، وقد وازن بعض المفسرين بين علم موسى ، وعلم العبد الصالح الخضر ، فقال : علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم(١٣٨).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع لفظ (الرحمة) في كتاب الله العزيز يمكن أن نخلص إلى بعض النتائج ، وهي نتائج فيها تأكيد على بعض ما توصل إليه العلماء القدماء من قبل فضلا عن النتائج التي أضافها البحث عند دراستنا لهذا اللفظ وهي على النحو الآتي:

ـ الرحمة هي أحد اشتقاقات الجذر (رَحِمَ)، وقد شغلت حيّزاً كبيراً من كتاب الله عزَّ وجل ، إذ بلغ عدد المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ (٣٣٩) مرّة ، وقد كشفت الدراسة أن هذا الجذر يتكون من صوتين مجهورين هما الراء والميم يتوسطهما صوت مهموس هو الحاء ، مما أكسبه صفة الوضوح السمعي ومنحه صدى يتناسب مع سياقاته المختلفة .

ـ الدلالة المعجمية هي الدلالة الأصلية لأي لفظ سواء أكان حقيقياً في أصل الوضع أم مجازياً منقولاً من معنى حقيقي مفرداً أو مركباً ، ويسميها المحدثون بالدلالة المركزية أو الأساسية التي تقوم على التعدد لكونها تحمل أكثر من معنى لذلك لاتعين على تحديد البعد الدلالي للكلمة .

ـ علماؤنا القدماء وقفوا عند الدلالة المعجمية منذ بداية البحث اللغوي ، وبنوا أغلب معجماتهم في ضوء ذلك ، ثمّ صارت هذه الدلالة نظرية خاصة من نظريات المعنى لدى المحدثين أطلقوا عليها نظرية (مساواة معنى الكلمة بمدلولها) .

ـ أجمع أصحاب المعجمات القدماء على أن الرحمة تدل على الرقة والعطف والرأفة ، وهذا التصور لايختلف عن تصور المحدثين ونظرتهم إلى هذه الدلالة ، مما يعني أن لفظ الرحمة لدى المحدثين يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في أساليب الخطاب اللغوي القديم .

ـ تبيّن أن الرحمة ومشتقاتها تدور حول التواصل بين الناس ، على الرغم من اختلاف الصيغ وتعدد الصور التي وردت عليها ، فالرَّحم والرِّحم والمرحمة والرحمن والرحيم ، تلتقي عند الدلالة الأصلية للرحمة وهي الرقة والعطف والرأفة ...

ـ نظراً لتعدد الدلالات في المعجمات للفظ الواحد ، فأن مهمة السياق هو تحديد دلالة اللفظ على وفق السياق والإفادة من القرائن السياقية بأنواعها المختلفة السابقة واللاحقة والحالية والمكتنفة في اللفظ نفسه ، وهذا مالاحظناه في لفظ الرحمة كون الرحمة من الألفاظ العامة والشاملة التي تدل في معناها على كلِّ خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وآخرته ؛ لذلك تعددت دلالات هذا اللفظ واختلفت معانيه من سياق لآخر ، واختلفت آراء المفسرين وتأويلاتهم من موضع لآخر ، وهذا أدى إلى تعدد المعاني السياقية لهذا اللفظ في القرآن الكريم ، ولا غرابة في ذلك ؛ لأن من المفسرين من نظر إلى اللفظ من موضع يختلف عن معناه في موضع آخر ، ويحكم ذلك كله في النهاية سياق الكلام وعلم المفسر .

هوامش البحث

[١] ظاهرة الإعراب في النحو العربي: أحمد سليمان ياقوت ٧٧ ، وينظر : علم الدلالة / دراسة وتطبيقاً : نور الهدى لوشن ٨٣ .

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي ٢٨٨/٢، وينظر: التعريفات: الشريف الجرجاني ٦٢.

[٣] دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس ٢١٣ .

[٤] دلالة الألفاظ ١٠٦ ، وعلم الدلالة ٣٦ ، واللغة والمعنى والسياق: جون لاينز ٣٥ ،

[٥] التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: محمد عكاشة ١٥٧ .

[٦] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة : علي زوين ١٨٥ .

[٧] التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: محمود عكاشة ١٥٧ .

[٨] علم الدلالة التطبيقي في التراث : هادي نهر ١٧٧ .

[٩] علم الدلالة العربي : فايز الداية ٤ .

[١٠] معجم مقاييس اللغة:ابن فارس (رحم) ٤٩٨/٢، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن:الأصفهاني (رحم) ١٩٦، ولسان العرب: ابن منظور (رحم) ١٧٣/٥.

[١١] ينظر : معجم مقاييس اللغة (رحم) ٤٩٨/٢ ، والصحاح: الجوهري (رحم) ٢٠٧/٦ .

[١٢] ينظر : الدر المصون في علم الكتاب المكنون: السمين الحلبي ١٥/١ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي ٨٠٦/١ .

[١٣] الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ١٦١ .

[١٤] معجم مفردات ألفاظ القرآن (رحم) ١ /٣٩١

[١٥] ينظر : بصائر ذوي التمييز ٨٠٦/١ .

[١٦] شعب الإيمان: البيهقي ٤٨١/٦ . وصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج ٢٠/٨ .

[١٧] فيض القدير : عبد الرؤوف المناوي ٣/ ٨ .

[١٨] ينظر : اللباب في علوم القرآن :عمر بن علي بن عادل الدمشقي ١ / ١٤٧ .

[١٩] ينظر : لسان العرب ٢٣٠/١٢ (رحم) .

[٢٠] ديوانه ٤٩ ، والبيت في لسان العرب ٢٣٠/١٢ (رحم) .

[٢١] ينظر : مقاييس اللغة ٢/ ٤٩٨ (رحم) ، ولسان العرب ٢٣٠/١٢ (رحم) .

[٢٢] معجم مفردات ألفاظ القرآن ١٩٦ .

[٢٣] مقاييس اللغة ٢/ ٤٩٨ (رحم) .

---

(٢٤) ينظر : لسان العرب ٢٣٠/١٢ (رحم) ، والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء: الكرباسي ٣/ ٤٤ .

(٢٥) ينظر : العين ٢٢٤/٣ (رحم) ، ولسان العرب ١٢ /٢٣٠ (رحم) .

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ١٠٦/١ .

(٢٧) ينظر: الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٤٤/٣،وأسماء في القرآن الكريم ٢٦/١ .

(٢٨) أيسر التفاسير: الجزائري ١١/١ ، والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٤٤/٣ .

(٢٩) التفسير الوسيط : سيد طنطاوي ١/ ١ .

(٣٠) البحر المديد: الإدريسي ٢٦/١ ، وينظر : الصحاح ٢٠٧/٦(رحم) .

(٣١) ينظر : التحرير والتنوير: ابن عاشور ١٠٥/١ .

(٣٢) الدبّران : نجم بين الثريا والجوزاء ويقال له التابع والتويبع ، وهو من منازل القمر سميَّ دبراناً ؛ لأنه يدبر الثريا أي يتبعها ... وقيل : الدّبران نجم يدبر الثريا لزمته الألف واللام ؛ لأنهم جعلوه الشيء بعينه . ينظر : لسان العرب (دبر) ٤ / ٣٦٨ .

(٣٣) العيُّوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء سميًّ بذلك ؛ لأنه يعوق الدبّران عن لقاء الثريا ، لزمته الألف واللام ؛ لأنه عندهم الشيء بعينه وكأنّه جعل من أمة ، وكلّ واحد منها عيّوق . ينظر : لسان العرب (عوق) ١٠ / ٢٧٩ .

(٣٤) الصَّعِق والصَّعِقُ : صفة تقع على كل من أَصابه الصَّعَق ولكنه غلب عليه حتى صار بمنزلة زيد وعمرو علماً كالنجم والنسب إِليه صَعَقِيّ على القياس وصِعِقِيٌّ على غير القياس ؛ لأَنهم يقولون فيه قبل الإِضافة صِعِق على ما يطَّرد في هذا النحو مما ثانيه حرف من حروف الحلق في الاسم والفعل والصفة في لغة قوم وصَعِقَت الركية صَعَقاً انْقاضَتْ فانهارَتْ وصُواعق موضع والصَّعِقُ اسم رجل قال تميم بن العَمَرّد وكان العَمَرّد طعَن يزيدَ بن الصعق فأَعْرَجَه :

أَبي الذي أَخْنَبَ رِجْلَ ابنِ الصَّعِقْ إِذْ كانت الخيلُ كعِلْباء العُنُقْ

ويروى لابن أحمر ومعنى أَخنب رجله أَوهَنها . ينظر : لسان العرب (صعق) ١٠ /١٩٨ .

(٣٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري ٥٠/١ .

(٣٦) التحرير والتنوير ١/ ١٦٩

(٣٧) ينظر : الكشف والبيان:أبو إسحاق النيسابوري ٩٩/١ .

(٣٨) دور الكلمة في اللغة : استيفن أولمان ٥٤ .

(٣٩) البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن : ابتهال الزيدي ٢٨٦ ، أطروحة دكتوراه .

---

(٤٠) علم الدلالة (مختار) ٣٧ .

(٤١) دلالة الألفاظ ١٠٧ .

(٤٢) المصدر نفسه ٨٥ ، ودور الكلمة في اللغة ٩٠ .

(٤٣) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : ٢١٥ ــ ٢١٦ .

(٤٤) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : علي زوين ١٨٥ .

(٤٥) اللغة : فندريس ٤٣ .

(٤٦) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ٩٢ .

(٤٧) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:الواحدي ٢٤٠/١ .والتفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي ٧٨٢/١، ومن وحي القرآن : محمد حسين فضل الله ٦/ ٢٢٦ .

(٤٨) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ٥٧/٤ .

(٤٩) من وحي القرآن ٢٢٦/٦ .

(٥٠) الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٣/ ٤٦

(٥١) أيسر التفاسير : الجزائري ١/ ٩٤ .

(٥٢) ينظر: معالم التنزيل: البغوي١٣٣/١

(٥٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل : الخازن ٩٣/١ ، وبصائر ذوي التمييز ٣٩٨/١ ، وصفوة التفاسير: الصابوني ٥٠/١.

(٥٤) جامع البيان من تفسير القرآن: الطبري ٤٧١/٢ .

(٥٥) اللباب في علوم القرآن: الدمشقي الحنبلي ١٧ / ١٧٠ ، وينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن ١١٧/٦، والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٤٧/٣ .

(٥٦) ينظر : النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالماوردي ١٩٧/٥ ، والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٤٧/٣ .

(٥٧) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : الطوسي ١٤٥/٩ ، والجديد في تفسير القرآن: الشيخ محمد الشيرازي النجفي ٣٠٠/٦.

(٥٨) ينظر : مقتنيات الدرر: الحائري ٣٠٦/٥ ، والجديد في تفسير القرآن ٤٧٩/٣ ، والتفسير الميسر ٩/٤ .

(٥٩) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٩ /٢٥ .

(٦٠) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٩ ، والنكت والعيون ٤٦٦/٢ .

(٦١) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٩ .

---

(٦٢) جامع البيان من تفسير القرآن: الطبري ٣١٩/٤ ، وينظر : بحر العلوم:السمرقندي ١٦٩/١.

(٦٣) ينظر : الجديد في تفسير القرآن ١/ ٢٧٥ .

(٦٤) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ٣٢١/٣ .

(٦٥) ينظر : جامع البيان من تفسير القرآن٨٥/٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٩/٤ ، وتفسير القرآن العظيم : ابن كثير (٧٣٠/١ ــ ١٨٥/٤) ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :لأبي السعود ٨/ ٧٥ ، وروح المعاني : الآلوسي ٣٦/٤ ، واللباب في علوم القرآن٤٥٨/٥ ، وصفوة التفاسير ٢٠٩/١ .

(٦٦) زاد المسير: عبد الرحمن بن علي الجوزي ٥/ ٩١ ، وينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥٢٥/٦ ، والنكت والعيون ٣٧٦/٤ .

(٦٧) ينظر : التفسير الكبير: الفخر الرازي ٧٠/٢١ ، وأضواء البيان: الشنقيطي ٢٠٧/٣

(٦٨) كنز العمال:علي بن حاتم الهندي ٣٣٦/٢ ، وفيض القدير:عبد الرؤوف المناوي ٣٣٥/٤ .

(٦٩) تفسير القرآن العظيم ٩١/٢، والحديث في : مسند أحمد: الشيباني ١٧١/٢٩/ والمستدرك على الصحيحين: النيسابوري ٦٨٣/٣ .

(٧٠) ينظر : جامع البيان من تفسير القرآن ٦١٧/١٧ ، بحر العلوم ٣٤٠/٢ .

(٧١) ينظر : من هدي القرآن : المدرسي ١٥/ ١١٠ ، والبصائر في تفسير كتاب الله: رستكار جويباري ١٠٦/٤٤ .

(٧٢) ينظر : فتح القدير ٣٥٢/٥ .

(٧٣) ينظر : من هدي القرآن ١١٠/١٥ .

(٧٤) في ظلال القرآن : سيد قطب ١٤٠/٧

(٧٥) معالم التنزيل ٣٢٣/٧ .

(٧٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣٣٦/٩ ، والتحرير والتنوير: ابن عاشور ٧٠/١٤ .

(٧٧) ينظر : التحرير والتنوير ١٧٣/٢٦ ، والحديث في : مسند أحمد ٣٢٣/٣٠ ، وصحيح مسلم ٢٠/٨ .

(٧٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي ٤٣٨/١.

(٧٩) ينظر : مجمع البيان : الطبرسي ٢٦٤/١ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل:البيضاني ٤٥/١، والبحر المحيط :لأبي حيان ٤٤٦/١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٢٢/٣ .

(٨٠) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٥ ، ومقتنيات الدرر ١٢/٢ .

(٨١) ينظر : البحر المحيط ٤٤٦/١

---

(٨٢) زاد المسير ٢٨٨/٧ ، وينظر :وجواهر الحسان في تفسير القرآن :الثعالبي ١١٠/٤ .

(٨٣) ينظر : روح المعاني ٣٩/٢٥ ، وجواهر الحسان في تفسير القرآن ١١٠/٤ ٣٣ .

(٨٤) ينظر : من هدى القرآن ٣٥٧/١٢ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٤٨٦/١٥ .

(٨٥) ينظر : مجمع البيان ٣٠٥/٤ ، جامع البيان من تفسير القرآن ١٠٢/٢٠،والجامع لأحكام القرآن ٣٤/١٤، مقتنيات الدرر ٢٢١/٨ ، وصفوة التفاسير ٩/٢ .

(٨٦) التفسير الميسر٢١٩/٧ .

(٨٧) ينظر : تفسير الشعراوي٣٣٧٠

(٨٨) بحر العلوم ١٧٩/٣ ، وينظر: السراج المنير: الشربيني ٣٦١/٣ ، وبصائر ذوي التمييز ٨٠٧/١ .

(٨٩) التفسير الوسيط : سيد طنطاوي ١/ ، ٣٦٦٠ ، وينظر : مقتنيات الدرر ٢١٥/٩ .

(٩٠) الكشاف ١٣٢/٤ ،

(٩١) ينظر : الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٥٠/٣ ، وبحر العلوم ١٥٣/٣ .

(٩٢) جامع البيان من تفسير القرآن ٣٣٢/١٥ .

(٩٣) صفوة التفاسير ٥٩/٢ .

(٩٤) التفسير الميسر ٤/ ١٥٣ .

(٩٥) ينظر:الكشاف ٤٥٣/٢ ،وإرشاد العقل السليم ٢٨٦/٤ ، وفتح القدير : الشوكاني ٥٠/٧ .

(٩٦) صحيح البخاري ٨٦/٥ ، السنن الكبرى: البيهقي ٧/٣ .

(٩٧) الكاشف : محمد جواد مغنية ٤٢٦/٦ ، وينظر : من وحي القرآن ٢٩٥/١٩ .

(٩٨) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٥ / ١١١ .

(٩٩) تفسير التستري: التستري ٤٥٨/١.

(١٠٠) تفسير القرآن العظيم ١٤٢/٣، والآية في سورة (آل عمران : ٤٥ ــ ٤٦) .

(١٠١) ينظر : البحر المحيط ٦ / ١٦٩ .

(١٠٢) جامع البيان من تفسير القرآن ١٨ / ٥٥١، وينظر:الميزان في تفسير القرآن ٣٦٣/١٤ .

(١٠٣) التحرير والتنوير ٢٩٥/٩ .

(١٠٤) من وحي القرآن ٣٠٥/١٥ .

(١٠٥) ينظر : فتح القدير ٢١٢/٢ .

(١٠٦) ينظر : الكشاف ١٠/٢ ، واللباب في علوم القرآن ١٦٨/٩ .

---

(١٠٧) ينظر : جامع البيان من تفسير القرآن ٤٩٥/١٢ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي ١٧١/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١٣ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٨/٣ .

(١٠٨) روح المعاني ١٤٥/٨ .

(١٠٩) الكون والرؤية العلمية في القرآن والأديان السماوية الأخرى / دراسة مقارنة : أرشف أحمد محمد عماشة ٤٩/١ ، (رسالة ماجستير) .

(١١٠) تفسير القرآن العظيم ٣٢٣/٦ ، وزاد المسير ٣١٠/٦ .

(١١١) ينظر : لسان العرب ٥/٤ (أثر) ، وتاج العروس: ١٠/ ١٥ (أثر) .

(١١٢) ينظر : الكاشف ٦/ ١٥١ .

(١١٣) شرح الشاطبية : أبي شامة ٣٥٣/٢ .

(١١٤) التفسير الميسر ٢٢٩/٧ ، التحرير والتنوير ٧١/٢١ .

(١١٥) لسان العرب ٢٥/٥ (غفر) .

(١١٦) التعريفات : الجرجاني ٢٨٦/١ .

(١١٧) الكليات : الكفوي ١/ ١٠٥٨.

(١١٨) ينظر : الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ١٤٩/٢ ،والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء٤٩/٣ .

(١١٩) أيسر التفاسير ١/ ٨٤٤ .

(١٢٠) روح المعاني ١٠٤/٧ .

(١٢١) ينظر : اللباب في علوم القرآن ٥٢٤/٦ ، والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٤٧/٣ .

(١٢٢) ينظر : جامع البيان من تفسير القرآن ٤٥/٢٥ ، والوجيز للواحدي ٩٧٣/٢ ، ومدارك التفسير للنسفي٨٩/٤ ، والكشاف للزمخشري ٢٤١/٤ ، وزاد المسير للجوزي ، والتفسير الكبير للرازي ٦٣٠/٩ ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي٨٣/١٦، والبحر المحيط لابن حيان ١٧٠/٩ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٣١٨٦/٥ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥ /٢٠١ .

(١٢٣) ينظر : دراسة ترجيحات الشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: عبد الماجد بن محمد ٧٤/١ـ٧٥ .

(١٢٤) ينظر : الكشاف ٢٥٣/٤ .

(١٢٥) ينظر : اللباب في علوم القرآن ٢٥٣/٦ .

(١٢٦) الكاشف ٣٦٥/٦ .

---

[١٢٧] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٨/٥ ، والكشاف ٧٦/٤ ، والبحر المحيط ٣٧٠/٧ .

[١٢٨] ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٤ ، والإتقان في علوم القرآن ١٤٩/٢ ، وفتح القدير ٢٨٠/٤ .

[١٢٩] تفسير الشعراوي ٣٤٧٥ .

[١٣٠] الميزان في تفسير القرآن ٣٠٤/١٦ .

[١٣١] المستصفى من علم الأصول : الغزالي ٢٧١ .

[١٣٢] ديوانه ١٨٩/١ .

[١٣٣] ينظر : البحر المحيط ٢٥٠/٣ ، ومقتنيات الدرر ١٨٠/٣ ، والنكت والعيون ٥١١/١ ، ، والجديد ٣٢٢/٢.

[١٣٤] جامع البيان من تفسير القرآن ٥٧٤/٨ .

[١٣٥] التحرير والتنوير ٢٥١/٤ .

[١٣٦] صفوة التفاسير ١٥٦/٢ .

[١٣٧] ينظر : النكت والعيون ٣٢٤/٣ ، والميزان في تفسير القرآن ٣٦٧/١٣ .

[١٣٨] ينظر : زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة ٤٥٥٩/١ ،وفتح القدير ٢/ ٤٢٧ .

المصادر والمراجع

ــ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هــ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، الهيأة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥م .

ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود: محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١هــ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د .ت.

ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (تــ ١٣٩٣هــ) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هــ– ١٩٩٥ م

ــ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١٣هــ .

ــ الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء : محمد جعفر الكرباسي ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ١٩٨٧م .

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي (ت٧٩١هــ) تحقيق:عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر بيروت ١٩٩٦م .

ــ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة الخامسة ١٤٢٤هــ ــ٢٠٠٣م

ـ البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن :إبتهال كاصد ياسر الزيدي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ، أطروحة دكتوراه ٢٠٠٤م.

ـ بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تحقيق: د.محمود مطرجي ، دار الفكر – بيروت ـ لبنان (د.ت)

ـ البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) ، دار النشر تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ،الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ـ بيروت ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

ـ البحر المديد : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٦٩م .

ـ البصائر في تفسير كتاب الله : يعسوب الدين رستكار جويباري ، قم ، المطبعة الإسلامية ١٤١٣هـ .

- تاج العروس من جواهر القاموس: محبّ الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، الجزء/١٠ ـ المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٦هـ . والأجزاء من ١ ـ ٢٦ تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، وعلي هلال ، وعبد الكريم الغرباوي ، وعبد العليم الطحاوي ، ومصطفى حجازي ، وآخرين ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٨م .

ـ التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد شوقي أمين وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ومطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٥٧م ـ ١٩٦٥م .

ـ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م.

ـ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية : محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، الطبعة الأولى ، مصر ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

ـ التعريفات : لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦م .

ـ تفسير التستري: التستري ، مصدر الكتاب ، موقع التفاسير http://www.altafsir.com

ـ تفسير السراج المنير : محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين دار النشر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت (د.ت).

ـ تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ) ، الناشر : مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م .

ـ تفسير القرآن العظيم :إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ .

ـ التفسير الكبير :الإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، بيروت ـ لبنان ٢٠٠١م .

ــ التفسير الميسر : تأليف عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي . مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف www.qurancomplex.com

ــ التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

ــ جامع البيان من تفسير القرآن :أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

ــ الجامع لأحكام القرآن : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢م .

ــ الجديد في تفسير القرآن : الشيخ محمد الشيرازي النجفي (ت١٤١٠هـ) ، دار المعارف للمطبوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٢هـ .

ــ جواهر الحسان في تفسير القرآن:عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ت٤٢٩هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

ــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف(ت٧٥٦هـ)، تحقيق : أحمد محمد الخرّاط ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، دمشق ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

ــ دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان من أول سورة النور إلى آخر سورة المجادلة /جمعاً ودراسة: عبد الماجد بن محمد ولي بن محمد علي إبراهيم ، رسالة ماجستير في القرآن وعلومه ١٤٢٣هـ

ـ دلالة الألفاظ: الدكتور ابراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .

ـ دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان ، ترجمة:الدكتور كمال محمد بشر ، الطبعة العاشرة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٦م .

ـ ديوان الأعشى الكبير:ميمون بن قيس(ت٧هـ)،شرح وتعليق: الدكتور محمد محمد حسين مكتبة الآداب المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٥٠م .

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

ـ زاد المسير في علم التفسير:عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

ـ زهرة التفاسير: الإمام الجليل محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي (د . ت)

ـ سنن البيهقي الكبرى :أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

ـ شرح الشاطبية المسمى: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع : للإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ) ، تأليف الإمام : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بـ : أبي شامة المتوفي سنة ٦٦٥هـ .

ـ شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد السعيد البسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١٠هـ .

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٩٠م .

ـ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ـ صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

ـ علم الدلالة : أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

ـ علم الدلالة دراسةً وتطبيقاً : الدكتورة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

ـ علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: هادي نهر، منشورات عالم الكتب الحديث الأردن ـ عمان ٢٠٠٨م .

ـ علم الدلالة العربي: فايز الداية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٨١م.

ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ـ : الدكتور كمال محمد بشر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة، مصر ١٩٧٩م .

ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت د.ت.

ـ الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

ـ في ظلال القرآن :سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة السابعة ، لبنان ـ بيروت ١٩٧١م .

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير : للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ، ضبطه وصححه : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ـ لبنان ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

ـ الكاشف : محمد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨١م .

ـ كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي الفارقي التهانوي (من رجال القرن الثاني عشر) ، تحقيق : الدكتور لطفي عبد البديع ، المؤسسة المصرية ١٩٦٣م .

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان د. ت .

ـ الكشف والبيان : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، ومراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي دار إحياء التراث العربي،الطبعة الأولى، بيروت - لبنان ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م

ـ الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت١٠٩٤هـ) ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٩٩٨م .

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م

ــ الكون والرؤية العلمية فى القرآن والأديان السماوية الأخرى – دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير: أشرف أحمد محمد عماشة ،كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دمياط الجديدة ٢٠٠٣ .

ــ لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان ١٣٩٩ هــ ــ ١٩٧٩ م

ـ لسان العرب:جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هــ)،دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى .

ــ اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ــ لبنان ١٤١٩ هــ -١٩٩٨ م.

ــ اللغة : جوزيف فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومجمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي١٩٥٠م .

ــ اللغة والمعنى والسياق :جون لاينز ، ترجمة : الدكتور عباس صادق الوهاب ، مراجعة : الدكتور يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧م .

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هــ) ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ١٣٧٩هــ .

ـ مدارك التنزبل وحقائق التأويل ، المشهور بتفسير النسفي، دار الكتاب العربي ، بيروت د.ت .

ـ المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هــ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١١هــ ــ ١٩٩٠م .

ــ المستصفى من علم الأصول : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هــ)، المطبعة الأميرية ، بولاق ، الطبعة الأولى ١٣٢٢هــ .

ـ مسند أحمد :أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت٢٤١هــ)،مؤسسة قرطبة،مصر د.ت .

- معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
- معجم مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المشهور بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي د.ت.
- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٦ هـ.
- مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر: مير سيد علي الحائري الطهراني(ت١٣٤٠هـ)، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٣٧هـ .
- من هدى القرآن: السيد محمد تقي المدرسي، دار الهدى ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- من وحي القرآن : محمد حسين فضل الله ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة د.ت .
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : الدكتور علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ١٩٨٤م .
- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ .
- النكت والعيون (تفسير الماوردى): أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم والدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .